لاذقية كنعان. وهاك قد جاء الآن باكتشاف هذا الوزن دليل جديدة يؤيد قولنا ان تريفون لم يخرب البلدة كلها او انها عادت سريعاً الى قديم بهائها

اما ما يخص اسم العامل المذكور على الوزن اعني NIKON (نيقون) فهو اسم يوناني محض كما ترى. لكنَّ في تلقيبه بالاغورانوم (ΑΓΟΡΑ NOMOY) (١ ما يجدر باللاحظة. وهو انَّ هذه الوظيفة التي احدثها الساوقيون وعمَّ بنشرها انتيوخوس الرابع المعروف بالشهير اخذت تنتشر في مدن فينيقية. وكانت رتبة الاغورانوم هذه تشبه رتبة الاديل (édile) عند الرومان ينظر اصحابها الاسواق ويراقبون معاملات الاهلين في بيعهم وشرائهم دفعاً للمظالم. وفي مجموع الكتابات اليونانية كثيراً ما يأتي ذكرهم في الصكوك القديمة. وكان اكثر وجودهم في بلاد اليونان بيد اننا نراهم ايضاً في اقاليم اسيا كتبرس وازمير وانطاكية (٢

الوطنيَّة

(ردّ للاب لويس شيخو اليسوعي)

هو عنوان مقالة مسهبة وردت في جريدة حديثة النشأة مصريَّة تدعى تركيا (عدد ٢٠) الحقها صاحبها بباب « خطرات افكار » وفيها يبحث عن امور شتى صدّرها توطئةً لغايته بتعريف الوطنيَّة وتعلقها بالدين والعمران. والحقُّ يقال انهُ يستشفُّ من وراء هذه النبذة من لوائح الحبِّ الوطني وشارات الاخلاص لدولتنا السنيَّة ما يستوجب كل ثناء طيّب على واشي بُردتها

بيد اننا لحظنا من معرض كلامهِ انهُ حفظهُ الله قليل التضلع بالاصول الفلسفية زهيد الخبرة في القياسات المنطقية فاتخذ امثالهُ زكناً واهياً وبناها على جُرف هارٍ والاولى ان يُقال انَّ مبادئهُ هذه تقوّض دعائم الوطنيَّة ولا نخالهُ فكّر في مثل هذه النتيجة الوخيمة. وعليهِ احببنا ان نبين لهُ ما في مقدّمات قياسهِ من البطلان

قد قال اثارهُ الله بعد ان حدّ الوطنية حدًّا لا نضايقهُ الآن في اثبات صحتهِ « ان الامم ترجع الى هذه الفضيلة (يريد الوطنيَّة) فتؤثرها على الدين وتحبها اكثر منهُ (كذا) » ثمَّ شفع كلامهُ هذا بقولهِ « انَّ اتفاق المصلحة هي التي تجعل الوطنية بين الامم في اعلى

١) هي كلمة مركَّبة من لفظتين يونانيَّتين معناهما قاضي السُّوق

٢) راجع كتاب السياسة لارسطاطاليس الكتاب السادس الفصل الخامس العدد الثاني

منزلة » وبياناً لذلك ضرب مثل الشعب الارلندي الذي مع نفوره من حكومة الانكليز في بلاده ونقمه عليها لا يزال يحاربه معها وذلك احتفاظاً بمصلحة قومه وبلاده » فختم هذا البرهان بقوله: « فالوطنية . . . لا تزال توجد اينما كانت المصلحة متفقة وانّ الدين لا علاقة له بها على الاطلاق بين سائر الامم التي عرفت الحريّة والنور (كذا) . . . . »

قبل ان نتصدّى للردّ على هذين المبدأين الفاسدين اي انّ الشعوب يؤثرون الوطنية على الدين وانّ الدين لا علاقة له مع الوطنية ليسمح لنا صاحب المقالة الاديب ان نلقي عليه بعض اسئلة نرجو افادة الجواب عنها فنكون انضاله من الشاكرين

اولاً قد قلت في تعريفك للوطنية « هي ان يحبّ الانسان حكومته وامّته . . . » ثمّ اطنبت في مدح وطنيّة الشعب الارلندي الذي لا يزال « ناقماً على حكومته في بلاده وشكواه منها تكاد تبلغ عنان السماء » أفليس في هذه الاقاويل شيء من المناقضة ؟

ثانياً ان كانت الوطنيّة كما زعمت قائمة باتفاق المصلحة فما قولك عن امّةٍ او امم يتفقون على امرٍ او يتعاضدون في حربٍ تجرّ عليهم نفعاً لكنها تأتي على غيرهم بالشرّ الوبيل وذلك ليس للمدافعة عن بعض الحقوق او لرتق بعض الفتوق بل استطالةً على الضعيف او طمعاً في بلاده كما يفعل بعض الدول في زماننا أفتعدّ هذا الاتفاق في المصلحة وطنيّةً او لا تراهُ بالحري ظلماً محضاً يأتي بالوبال على اصحابه ويعود على اوطانهم بالخراب ؟

ثالثاً اذا كانت الوطنيّة هي كما قدّمت « مبعث الحريّة والاستقلال » أفلا تخشى ان تثير بذلك روح الثورة والعصيان فتهدم وكن الوطنية . ما قولك مثلاً في الشعب الارلندي لو حاول جرياً على « حريّته واستقلاله » ان ينشر راية التمرّد على حكومة الانكليز لاسيّما ومصلحتهُ الحاضرة في بلاده (وقد سلّمت بذلك) تناقض مصلحة الحكومة السائدة عليه

هذه اسئلةٌ خطرت على بالنا في وقت مطالعتنا للمقالة السابق ذكرها . ولكنّ غايتنا من كتابة هذه الاسطر ان نبين لصاحبها ولجميع قرّائه ما من الفساد في المبدأين الذين صرّح بهما وجعلهما كاساس لمقالته

فالمبدأ الاوّل « ان الشعوب يؤثرون حبّ الوطن على دينهم » فكيف يا ترى يقنع كاتبٌ اديبٌ قرّاءه بهذا المبدإ ؟ أيثبتهُ عقلاً او نقلاً ؟

فان قال انّ العقل يقضي بذلك اجبنا ان العقل يحكم على خلاف زعمه بطريقة البرهان الصحيح انّ للانسان خالقاً هو الباري تعالى عزّ وجلّ وانّ على الخلوق قبل كل

شيء اداء فروض العبادة والخدمة لعلّة وجوده كان لهُ وطن او لم يكن. قال الغزّالي في صدر كتابهِ « ايها الولد »: ان الله خلقك لتسعى في خدمتهِ فتعبدهُ وتسجدهُ وتسجد لهُ في الغدوّ والآصال » وقال لبيد:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ

فالعقل اذًا يشهد بفضل الدين على الوطن. ولا حاجة للاطناب في هذا الموضوع وظهورهُ اضوأ من النور

وان رأى صاحب المقالة انَّ ايثار الشعوب لوطنهم على دينهم انَّما يؤيدهُ النقل فالاحمل من جنابهِ ان يذكر لنا اسم بعض هؤلاء الشعوب بل حسبنا ذكر أمّة واحدة. أفيجهل اصلحهُ الله ان تواريخ الامم على اطلاقها تنقض صريحًا قولهُ وتشهد بفسادهِ. وذلك بين عبدة الاوثان وبين القبائل المتكعكعة في ظلام الجاهليّة والهَمَجيّة فضلًا عن الشعوب التي زانها التمدُّن. فكلهم دون استثناء يفضلون دينهم على دنياهم. ولا احد ينكر ان الوطن من امور الدنيا فيؤثرون اذًا دينهم على وطنهم. وان كانوا لا يجهلون ان لتيصر حقوقًا يجب تأديتها فانَّهم يعلمون ايضًا ان لمعبودهم حقوقًا اسمى واشرف ينبغي عليهم تقديمها على ما سواها. قال ابن مسكويه في تهذيب الاخلاق (ص ٦٨): ان كان قد فرض على الرعية باخلاص الدعاء وجميل الشكر وبذل الطاعة للملك الفاضل فكم بالحري ان يكون للملك المالك الذي يجود علينا في كل طرفة عين بضروب احسانهِ الفائض على اجسامنا ونفوسنا ». فبطل اذًا زعم صاحب المقالة ان الشعوب يؤثرون حب الوطن على دينهم. والصواب انَّ الرتبة العليا هي للدين ومن بعدهِ حبُّ الوطن

فلنأتينَّ الآن الى المبدإ الثاني الذي استند اليهِ صاحب المقالة وهو انهُ لا علاقة بين الدينِ والوطن فنقول انَّهُ لمن عجيب الامور انَّ هذا المبدأ قد استنتجهُ جنابهُ من مبدئهِ الاوَّل. أفلا يرى انَّ النتيجة غير متضمنة في المقدّمات. فلو قلتُ مثلًا « انَّ زيدًا يحب اباهُ اكثر من عمهِ » ثم انتجتُ من ذلك فاذن لا علاقة بين ابي زيد وعمهِ » لاستغربتَ ضحكًا مني. لان الكل يعلمون انهُ لا علاقة بين القضيَّتين. فهكذا لا يسوغ ان اقول ان لا علاقة بين الدين والوطن ولو افترض اني بينت ان الشعوب تؤثر الوطن على الدين

بيد انَّ لهذا المبدإ الثاني فسادًا خاصًّا بهِ. وليس في دحضهِ كبير امر فنقول انَّ الوطنيّة لا تقوم دون الهيئة الاجتماعية وقوام الهيئة الاجتماعية انما هو بالسلطان ولا سلطان الّا من الله (رسالة القديس بولس الى اهل رومية ١٣ : ١) فالوطنية اذًا لها علاقة كبيرة

مع الدين اذ لولاهُ لانتقضت حبال السلطة وتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعية

وزد على ذلك انَّ الوطنية تحكم على المرء (كما اصبت في بيانك ذلك) « ان يبذل مهجتهُ وقواه كلها في هذا الحبّ بحيث ينكر ذاته لاجل وطنهِ مجاهدًا في سبيل اعلائهِ وترقيتهِ » والحالة هذه لا يمكن للمرء ان يبذل نفسهُ دون وطنهِ ويضحي مصالحهُ الخاصة على مذبح الوطن في سبيل الخير العام الَّا اذا كان متشرّبًا من روح الدين. لانَّ الدين وحدهُ مع ما يعرضهُ على الانسان من الثواب عند عمل الخير ومن العقاب عند فعل الشرّ يستطيع ان يبعث همّة الانسان فيحملهُ على ايثار خير وطنهِ على منفعتهِ الشخصية. ولذلك قد قيل انَّ حبَّ الوطن من الايمان لانَّ الدين مصدر حبّ الوطن وهو باعثهُ ومقوّي دعائمهِ

ولم تفت ايضًا هذه العلاقة الحكماء الاقدمين فاوضحوها في تآليفهم ايضاحًا حسنًا وقد اختصر قولهم ابن مسكويه السابق ذكرهُ اذ قال: « انَّ الملك حارس الدين. وقد قال حكيم الفرس وملكهم ازدشير: انَّ الدين والملك توأمان لا يتمُّ احدهما الَّا بالآخر. فالدين اسٌّ والملك حارس وما لا اسَّ لهُ فمهدوم وكلُّ ما لا حارس لهُ فضائع »

فلو تأمل صاحب مقالة الوطنية هذه الكلمة الجميلة لأدرك ما ذكر كثير من المؤرخين من الملوك الاقدمين كيف انهم لمَّا رأوا انَّ الملك لا قوَّة لهُ دون الديانة اضافوا الى سلطتهم المدنية السلطة الدينية وربَّما تقلَّدوا السلطة الكهنوتيـة بل اجترأوا في بعض البلاد فاوجبوا على رعيتهم ان يعبدوهم كآلهة متأنسة. ولو لم يرسخ في اذهان الناس ما يوجد من الارتباط بين الملك والدين لما اذعنوا مطلقًا لجموح ماركهم ورعاتهم السيئة

فيا ليت الامم وذوي الامر لم يختبروا مرارًا بانفسهم ما في التغاضي عن هذا المبدإ من سوء العقبى. فان الثورات المتواترة التي كدَّرت في ايامنا صفاء عيش الملوك وكادت تدكُّ بناء الهيئة الاجتماعية انَّ مصدرها الَّا من انفصال الوطنية عن الديانة

واما الشاهد الذي اتى به صاحب المقالة لتأييد زعمهِ وهو انَّ الارلنديّ يحارب شريفًا ويموت بطلًا مشكورًا على وطنيته رغمًا عمَّا يتحمَّلهُ من المشقة من حكومة الانكليز فذلك يثبتُ مقالتنا وينقض قول الخصم لان الدين يفرض على الوطنيّ ان يجاهد في سبيل بلدهِ ويسفك دمهُ للدفاع عن حقوقهِ وكل مرَّة يتقدم الملك اليهِ بامرٍ فالطاعة على المرؤوس واجبة والتردُّد ذنب والامتناع اثمٌ الَّا ان يأمر شيئًا مناقضًا لارادة تعالى عزَّ وجلَّ فالوقت حينئذٍ اولى من الطاعة لان الله احقُّ من الناس ان يطاع (اعمال ٥: ٢٩)

هذا والدلائل التاريخية على اثبات ما سبق اكثر من ان تُعدّ فنقتصر بذكر خطب القوّاد في الحروب لجنودهم فانهم لا يجدون باعثاً اقوى لحمل مرؤوسيهم على ان يباوا البلاء الحسن في حومة القتال من ان يثيروا في قلوبهم ما كمن فيها من احساسات التدين والخضوع لاوامر الله لعلمهم ما بين الدين والوطنية من وثيق العرى والعلائق الغير المنفصمة

وفي الختام نأمل انّ صاحب المقالة لا يؤاخذنا في تحطئتنا هذه فاننا لم نُرد بقولنا السابق ان نسوءهُ بشيء لا سيما وقد تلطف بالثناء الحسن على مصنفات مطبعتنا في هذا العدد نفسهِ من جريدتهِ لكننا اضطررنا ان نفند بعض اقوالهِ الغير السديدة خشيةَ ان تكون عثرةً للقرّاء . وحسبنا عذرًا ان نقول لهُ ما قالهُ ارسطو لمن استغرب مخالفتهُ لاستاذهِ افلاطون : ان الاستاذ صديقي والحقُّ صديقي ايضاً لكنّ الحقَّ احبُّ اليَّ من الاستاذ

كتاب الدارات

للاصمعيّ

(سعى بنشرهِ وجمع رواياتهِ الدكتور ارغست هفنر)

هذا الكتاب عبارة عن ثلاث صفحات جمع فيها الاصمعيّ ابياتاً لبعض قدماء الشعراء يذكرون بها دارات العرب . وهذه المقالة مع قصرها مفيدة لمعرفة جزيرة العرب لا سيّما وقد فات الجغرافيين الكبار كياقوت والبكري وغيرهما ذكر شيء منها . هذا فضلاً عن انّ قِدَم المقالة وشهرة مؤلفها من اقوى الدواعي لنشرها لئلا تأخذ يدُ الضياع هذا الاثر الجليل

امّا النسخة الاصلية التي نُقلت عنها هذه الطرفة فهي مصونة في الكتبخانة الخديوية في مصر استنسخها لنفسهِ العلّامة رودلف غاير (١ ثمّ نقلها عن هذه النسخة وجمع رواياتها الدكتور ارغست هفنر من علماء فينّا وهو الآن نزيل مدرستنا في بيروت فتكرم علينا بها لننشرها بالطبع . وهذه المقالة في جملة عدّة مقالات ادبية ولغوية تجدها في المجموع

(١ وهو الذي سعى بنشر كتاب آخر الاصمعي وجدهُ في خزانة كتب فينا اعني كتاب الوحوش طُبع سنة ١٨٨٨